الدجاني، وبولص شحادة، ويوسف الخطيب، وصليبا الجوزي، وآخرون. وقد اشتركت المنظمتان في هدف الوحدة مع سوريا، ومكافحة الخطر الصهيوني.

انّ في الاستخلاصات التي أوردها الكاتب معلومات مفيدة جداً لفهم خصوصية تشكّل الهوية الوطنية الفلسطينية. وعلى الرغم من ذلك، فان دراسة هذه المسألة ما زالت في طورها الجنيني، وتراوحت، حتى اليوم، بين حدّين أقصيين، هما الكلام الدعاوي المؤيد أو المضاد، من جانب، والدراسات ذات الصبغة القانونية. ان دراسة كتلك التي نراها في هذه المراجعة مفيدة للغاية لمن يعتقد، مثلنا، بأن المناهج السوسيولوجية هي الادوات الانجع لمقاربة تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية، وان التاريخ المنفتح على تقصي البنى الاجتماعية التقليدية في علاقاتها الداخلية، وفي تعاملها مع الخارج، مدخل ثمين الى هذا الفهم.

من هنا، فان المجال الثاني الذي تبرز فيه اهمية الكتاب هو تاريخ العلاقات الدولية، وتحديداً تاريخ السياسة البريطانية ازاء فلسطين، في الفترة المحصورة ما بين العامين ١٩١٤ و١٩٢٠، ومدى استجابة النخبة الفلسطينية لهذه السياسة.

في هذا الشأن، رأى المؤلف انه، في ظل تصاعد حركة الهجرة اليهودية، وعدم وضوح المستقبل السياسي الفلسطيني، استدعى الأمر عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الاول، الذي التأم في القدس، بتاريخ ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩. الاّ انه، في ختام المؤتمر، أقرت مذكرة سياسية، أكدت المطالب الوطنية في الاستقلال والوحدة العربية، وطرحت الموقف السياسي والعلاقة مع الحلفاء، فأعلنت رفضها للمطامع الفرنسية، وحدّدت العلاقة مع بريطانيا على أساس التعاون فقط.

وأورد مصلح، في الفصل الثامن، نصّ القرارات الخمسة لهذه المذكرة (ص ١٨١ ـ ١٨٢). ولكن ما هو المدى الذي كانت القيادات الفلسطينية ترغب في الوصول اليه في الاتكاء على الكتف البريطاني؟ هناك اطروحة أقلية تقول، ان دعاة الكيانية الاوائل (بمواجهة الوحدة السورية) كانوا من انصار البريطانيين، لا سيما عارف الدجاني. وثانية، أكثرية، تقول ان نمو الهوية الوطنية الفلسطينية، خصوصاً لدى النخبة الجديدة من القيادات الفلسطينية، لم يكن قد ترسّخ بهذا الوضوح القاطع، من دون الخلافات التي عصفت بحكومة دمشق العربية، وهي خلافات ذات جذر بريطاني ـ فرنسي، اصلاً.

اشار المؤلف، في الفصل التاسع، الى ان الامر لم يكن بهذه البساطة. ورأى، بحق، ان «منطق الدولة» الذي كان مسيطراً على السياسات السورية، والعراقية، بتأثير بريطاني، كانت له الاولوية على ما عداه من قضايا، بما فيها القضية الفلسطينية، بل حتى الامير فيصل نفسه توصّل الى اتفاق مع حاييم وايزمان لحماية عرشه. وترسّخت هذه القناعة، بصورة اكيدة، عندما احتل الفرنسيون دمشق، وعندما توضّحت الحدود بين الكيانات القطرية الاخرى، اكثر فأكثر.

وبعد، فنحن تجاه دراسة، الى حدّ بعيد، مثالية في وضوحها، وفي تعاملها مع الوثائق، وفي استخدامها لها. من هنا، فان الدراسة تشكّل مورداً تصحّ العودة اليه باستمرار.

د. نبيل حيدري